المحبّة الفاعلة... طريق القداسة...

القسّ هادي غنطوس
دكتور في العلوم البيبليّة

مقدّمة

"وعَلِمَ الفرّيسيّونَ أنّ يسوعَ أسكَتَ الصدّوقيّينَ، فاجتمعوا معًا. فسأَلَهُ واحِدٌ مِنهُم، وهوَ مِنْ عُلماءِ الشّريعةِ، ليُحرِجَهُ: يا مُعَلِّمُ، ما هي أعظمُ وصيَّةٍ في الشّريعة؟ فأجابهُ يسوعُ: أحِبَّ الربَّ إلهَكَ بكُلِّ قلبِكَ، وبكُلِّ نفسكَ، وبكُلِّ عَقلِكَ. هذه هي الوصيَّةُ الأولى والعُظمى. والوصيَّةُ الثانيةُ مِثْلُها أحبَّ قريبَكَ مِثلَما تُحبُّ نفسَكَ. على هاتين الوصيَّتَينِ تقومُ الشّريعةُ كُلُّها وتعاليمُ الأنبياءِ" (مت ٢٢: ٣٤–٤٠).

قد يعرف الكثير من المسيحيّين الآيتين اللتين يذكرهما يسوع في هذا المقطع ويعلنهما كملخّص أو أساس للشريعة، أي التوراة والأنبياء. لكن ممّا لا شكّ فيه أنّ غالبية المسيحيّين لا يعرفون أنّ يسوع إنّما يقتبس هاتين الآيتين من العهد القديم، وبالتحديد من التوراة، حيث يقتبس الآية الأولى، "تحبّ الربّ إلهك بكلّ قلبك وبكلّ نفسك وبكلّ عقلك"، من تث ٦: ٥، في حين يقتبس الآية الثانية، "تحبّ قريبك كنفسك"، من لا ١٩: ١٨. وكثيرًا ما لا ننتبه إلى أنّ السؤال الذي يطرحه عالم أو معلّم الشريعة على يسوع في النصّ إنّما هو حول الآية الأعظم في الشريعة، لا بل إنّ لو ١٠: ٢٥–٢٧ يضع الآيتين على لسان عالم الشريعة، الذي يحاور يسوع، حيث يقوم يسوع بعكس السؤال إليه، ويقوم عالم الشريعة نفسه بإعلان الآيتين. وبالتالي، فالوصيّتان الذهبيتان في المسيحيّة إنّما تأتيان من قلب الجزء الذي يشكّل قلب العهد القديم، أي التوراة.

من جهة أخرى، الأمر الثاني الذي كثيرًا ما لا ندركه هو أنّ طريقة الاقتباس في العصور القديمة كانت تختلف عمّا هو متعارف عليه ومتّبع في أيّامنا هذه من اقتباس الجملة أو المقطع بشكل كامل، مع تحديد وتوثيق مصدر الاقتباس بدقّة. في العصور القديمة كان اقتباس مقطع ما، وبما أنّه كان يتمّ عادة بين المتعلّمين والباحثين، يتمّ من خلال اقتباس عدّة كلمات أو جملة، غالبًا ما تأتي في بداية المقطع المقتبس، وبشكل يسمح للمتلقّي بأن يعرف المقطع المقتبس وبالتالي يقوم هو شخصيًّا بإكماله. وبالتالي، فعندما يردّ يسوع على الفرّيسيّ الذي كان يسأله عن الوصيّة العظمى في الشريعة بأسرها بسرد هاتين الآيتين، فإنّه لم يكن فقط يعلن أنّ هاتين الآيتين حرفيًّا هما الوصيّتان العظيمتان اللتان يتلخّص بهما الناموس والأنبياء. ولكنّه كان يعلن أنّ النصّ المعروف بالـ "شماع" (إسمع) (تث ٦: ٤ي) والنصّ الموجود اليوم في لا ١٩ هما النصّان الأهمّ في التوراة، واللذان يلخّصان الناموس والأنبياء (Stern 1966: 314-315).

وعليه، فإنّي سأحاول في هذا البحث أن أقوم بدراسة أحد النصّين اللذين يعتبر يسوع أنّهما النصّان الأهمّ في الشريعة، وأنّهما يشكّلان الأساس، ويلخّصان كامل الشريعة والأنبياء، أي كلّ الكتاب المقدّس في زمن يسوع، ويتضمّنان الوصايا الذهبيّة في المسيحيّة. وسأقوم في هذا البحث بتقديم نظرة عامّة على لا ١٩، أتعامل من خلالها مع الإطار والبنية الأدبيّين للإصحاح، ومع العلاقة بين لا ١٩ والوصايا العشر، ومن ثمّ أنتقل للتركيز على وصيّة محبّة القريب في لا ١٩: ١٨ حيث أتعامل مع إطار الوصيّة، وسؤال من هو القريب، ومعنى محبّة القريب، ومن بعدها نلقي نظرة على العلاقة بين لاويّين ١٩ ورسالة يعقوب، قبل أن أختتم الدراسة بإعلان محبّة القريب كطريق للقداسة.

الإطار والبنية الأدبيّان للاويّين ١٩

ينتمي النصّ الموجود في لا ١٩، والذي يأخذ شكل خطاب يدعو الربّ موسى لكي يعلنه لبني إسرائيل، إلى الجزء الذي يعرف بشرعة القداسة

(Holiness Code) في العهد القديم، وبالتحديد في التوراة (لا ١٧–٢٦)، لا بل ويتوسّط لا ١٩، ويشكّل مركز الجزء الذي يعتبر محور شرعة القداسة تلك وقلبها، وهو لا ١٨–٢٠ (ALLBEE 2006: 149).

كما أنّ الإعلان، "كونوا قدّيسين" (١٩: ٢؛ أنظر أيضًا ٢٠: ٢٦)، الذي يمثّل سياق هذا النصّ، يمثّل أيضًا سياق لا ١٨–٢٠ كما سياق شرعة القداسة بكاملها.

ويتضمّن الخطاب الموجود في لا ١٩ مجموعة من القوانين والفرائض المرتبطة بمختلف جوانب الحياة، والتي تأتي جميعها في سياق دعوة الربّ لشعبه ليكونوا قدّيسين على صورته هو. ومن الصعب إيجاد بنية واضحة أو تطوّر واضح للنصّ الذي تتعامل الفرائض المختلفة الموجودة فيه مع العلاقة مع الله والعلاقة مع الآخرين، لا بل إنّ الترتيب الذي يعاني من عدم الوضوح والذي يبدو وكأنّه لا يتبع منطقًا معيّنًا للفرائض والوصايا الموجودة في لا ١٩ دفع بعض الباحثين لتبنّي نظريّة أنّ الوصايا الموجودة في هذا النصّ إنّما تأتي من مصادر مختلفة (CARMICHAEL 1994: 239).

ولكن يمكن تقسيم البنية الهيكليّة الأدبيّة للاويّين ١٩ على الشكل التالي:

١– صيغة افتتاحيّة (آ ١–٢أ)

٢– الأطروحة الرئيسيّة للخطاب: "...كُونوا قِدِّيسينَ لأنّي أنا الرّبُّ إلهُكُم قُدُّوسٌ" (آ ٢ب)

٣– المجموعة الأولى من الفرائض (آ ٣–١٨)

١) مهابة الوالدين، حفظ السبت، الابتعاد عن الأوثان (آ ٣–٤)

٢) تعليمات خاصّة بذبيحة السلامة (آ ٥–٨)

٣) مجموعة من التعليمات المرتبطة بالمجتمع (آ ٩–١٨)

أ – دعوة لترك ما يبقى من الحصاد والقطاف للمسكين والغريب (آ ٩–١٠)

ب– تحذير من السرقة والغدر والكذب والقسم الباطل (آ ١١–١٢)

ج– تحذير من الظلم والسلب واستغلال الأجير والسخرية من المعاق (آ ١٣–١٤)

د– تحذير من عدم العدل وشهادة الزور (آ ١٥–١٦)

هـ– تحذير من البغض والانتقام والحقد ودعوة لمحبّة القريب كالنفس (آ ١٧–١٨)

٤– المجموعة الثانية من الفرائض (آ ١٩–٢٩)

١) دعوة لعدم خلط أجناس مختلفة مع بعضها (آ ١٩)

٢) تعليمات خاصّة بمضاجعة جارية مخطوبة لآخر (آ ٢٠–٢٢)

٣) تعليمات خاصّة بالأشجار المثمرة (آ ٢٣–٢٥)

٤) تحذير من من أكل الدم والتطيّر وترك علامات في الشعر أو الجسم (آ ٢٦–٢٨)

٥) تحذير من جعل الابنة زانية (آ ٢٩)

٥– المجموعة الثالثة من الفرائض (آ ٣٠–٣٦)

١) حفظ السبت ومهابة المعبد (آ ٣٠)

٢) تحذير من السحرة والعرّافين (آ ٣١)

٣) احترام الشيوخ (آ ٣٢)

٤) محبّة الغريب النزيل (آ ٣٣–٣٤)

٥) تحذير من الغشّ (آ ٣٥–٣٦أ)

٦– الأطروحة الختاميّة للخطاب: "أنا الرّبُّ إلهُكُم الّذي أخرجَكُم مِنْ أرضِ مِصْرَ" (آ ٣٦ب)

٧– دعوة ختاميّة لحفظ جميع الفرائض السابقة (آ ٣٧)

وترتكز البنية الأدبيّة المقدّمة أعلاه، والتي تقسم الخطاب إلى ثلاثة مجموعات رئيسيّة من الفرائض والوصايا تحيط بها أطروحتان بالإضافة إلى صيغة افتتاحيّة ودعوة ختاميّة، على الفعل "شمر" (حفظ) كأحد أهمّ الأسس في رسمها وتقسيمها، الذي يقوم بتحديد بداية كلّ مجموعة من مجموعات الفرائض الثلاثة التي يتضمّنها النصّ (آ ٣ب، ١٩، ٣٠)، كما يأتي في الآية الختاميّة للنصّ بكامله (آ ٣٧) في ارتباط مع كلّ المجموعات الثلاثة.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الفعل "شمر" يشير إلى ارتباط لا ١٩ مع الإصحاح الذي يسبقه (١٨: ٤، ٥، ٢٦) والذي يليه (٢٠: ٨، ٢٢)، أي يجمع لا ١٩ مع الإصحاحين اللذين يحيطان به، واللذين يشكّل معهما الجزء المركزيّ في شرعة القداسة.

لا ١٩ والوصايا العشر

إذا ما كان اختيار الـ"شماع" (تث ٦: ٤ي) كأحد نصّين يضمّان الوصيّة (الوصيّتين) الأعظم في الشريعة ويشكّلان أساسًا وملخّصًا للشريعة والأنبياء أمرًا مفهومًا كونه يرتبط بعبادة الله وبمحبّة الله بكلّ القلب والنفس والعقل، فقد يتساءل البعض عن سبب اختيار يسوع، والعديد من معلّميّ الشريعة، للاويّين ١٩، وليس للوصايا العشر، على أنّه النصّ الثاني. ألم يكن الأكثر منطقيّة على كافّة الصعد أن يقوم يسوع ومعلّميّ الشريعة باختيار خر ٢٠ أو تث ٥؟ ألم يكن ذلك سيغني حتّى عن اختيار الـ"شماع"، كون الوصايا الأولى من الوصايا العشر تخصّص للعلاقة مع الله؟

للإجابة على هذا السؤال علينا أن ندرك بأنّ الوصايا العشر ليست غائبة في اختيار يسوع ومعلّميّ الشريعة للاويّين ١٩، وذلك بسبب وجود ارتباط واضح بين لا ١٩ و الوصايا العشر (خر ٢٠)، كما هو مبيّن في الجدول أدناه، وبشكل تبني فيه لا ١٩ على خر ٢٠ وتقدّم صورة عمليّة لمعنى وتطبيق الوصايا العشر.

خر ٢٠ (الوصايا العشر)	لا ١٩
لا آلهة أخرى (آ ٣)	آ ٤
لا صورة مصنوعة (آ ٤–٦)	
لا استخدام باطل لاسم الربّ (آ ٧)	آ ١٢
حفظ السبت (آ ٨–١٢)	آ ٣ب، ٣٠أ
اكرام الوالدين (آ ١٢)	آ ٣أ
لا قتل (آ ١٣)	آ ١٦ب
لا زنى (آ ١٤)	آ ٢٠–٢٢، ٢٩
لا سرقة (آ ١٥)	آ ١١أ، ١٣، ٣٥–٣٦
لا شهادة زور (آ ١٦)	آ ١١ب، ١٦أ
١٠. لا شهوة (آ ١٧)	آ ١٧–١٨

لا ١٩ والوصايا العشر

بالإضافة إلى ذلك، يرتبط لا ١٩ أيضًا بالوصايا العشر من خلال القاعدة التي تؤسّس عليها الوصايا والفرائض في كلاَ النصّين. حيث أنّ لا ١٩ يبدأ بإعلان أنّ هدف كلّ الوصايا التي ستقدّم هو أن يكون الشعب قدّيسًا كما أنّ الله قدوس (آ ٢ب)، وهي دعوة تفترض، بالإضافة إلى إعلان طبيعة الله القدّوسة، علاقة العهد التي تجمع الله بإسرائيل ومتطلّباتها، وهي العلاقة التي تدور حولها وتؤسّس عليها الوصايا العشر. كما ينتهي لا ١٩ بالإعلان الصريح التالي، "أنا الرّبُّ إلهُكُم الّذي أخرجَكُم مِنْ أرضِ مِصْرَ" (آ ٣٦ب)، وهو الإعلان نفسه الذي تفتتح به الوصايا العشر وتؤسّس عليه في خر ٢٠ (آ ٢). وهو الإعلان الذي يربط ويؤسّس كلاَ النصّين في عمل الله الخلاصيّ في حياة شعبه، العمل الذي صنع هذا الشعب وجعله شعبًا لله.

وبالتالي فـ لا ١٩ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالوصايا العشر (خر ٢٠)، حيث يتّخذ من تلك الوصايا أساسًا له، ويقدّم تفسيرًا وأمثلة عمليّة لتطبيقها من جهة، ويتّخذ

لا ١٩ من علاقة العهد ومن عمل الله الخلاصيّ المعلنين في خر ٢٠ أساسًا له وللوصايا والفرائض التي يعلنها، وفي مقدّمتها وصية محبّة القريب كالنفس، من جهة ثانية.

وبالتالي، فمن خلال اختيار لا ١٩ كالنصّ الذهبيّ الثاني في الشريعة، فإنّ يسوع ومعلّميّ الشريعة قد اختاروا أن يقدّموا تطبيقًا عمليًّا للوصايا العشر مع التأكيد على الأساس الذي تنطلق منه تلك الوصايا كما ذلك التطبيق والذي ينبع من طبيعة الله، من علاقة العهد التي تجمع الله بشعبه، كما من عمل الله الخلاصيّ في حياة ذلك الشعب.

وصية محبّة القريب: لا ١٩: ١٨

إطار محبّة القريب

تشكّل آ ١١–١٨ وحدة مستقلّة ضمن المجموعة الأولى من الفرائض والوصايا في لا ١٩ (ALLBEE 2006: 149). ويمكن تقسيم آ ١١–١٨ إلى ٤ أجزاء رئيسيّة (آ ١١–١٢، ١٣–١٤، ١٥–١٦، ١٧–١٨)، تنفصل عن بعضها البعض بعبارة "أنا الربّ" (آ ١٢، ١٤، ١٦، ١٨)، وهي العبارة التي ترد بصيغ مختلفة ١٥ مرّة في لا ١٩، وتشكّل المبرّر الرئيسيّ لكلّ الوصايا والفرائض التي يتضمّنها الإصحاح (MWOMBEKI 1999: 391-392).

لا بل، وكما رأينا أعلاه، فإنّ الصيغة المعدَّلة لعبارة "أنا الربّ"، "أنا الربّ إلهكم قدّوس" (آ ٢ب) تمثّل الإعلان الذي يفتتح به كامل الخطاب الموجود في لاويّين، في حين أنّ الصيغة المعدَّلة الأخرى، "أنا الربّ إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر" (آ ٣٦ب) تمثّل الإعلان الذي يختتم به ذلك الخطاب. وبالتالي، فإنّ هاتين الصيغتين المعدَّلتَين لعبارة "أنا الربّ" تشكّلان الأساس والدافع والمحرّك الرئيسيّ للوصايا التي يعلنها الخطاب الموجود في لا ١٩، حيث تجد الفرائض الموجودة في لا ١٩ أساسها في طبيعة وإرادة الله

القدّوس (Allbee 2006: 149-151)، حيث أنّ الآية الأولى (آ ٢ب) تعلن طبيعة الله المقدّسة، في حين أنّ الآية الثانية (آ ٣٦ب) تشير إلى عمل الله الخلاصيّ وإرادته في منح حياة وحياة أفضل. وبالتالي، فبالنسبة إلى لا ١٩، شعب الله يجب أن يعيش بطريقة تتفق مع كونه شعب لله.

بكلمات أخرى، الوصايا والفرائض في لا ١٩ والتي تتمحور على العلاقة في قلب الجماعة، إنّما ترتكز وتنطلق من العلاقة بين الجماعة والله. ووضع تلك الفرائض في إطار عمل الله الخلاصيّ يعلن بأنّ هدف الوصايا هو اختبار ذلك العمل الخلاصيّ وعيشه في قلب الجماعة نفسها. عمل الله الخلاصيّ هو أساس علاقتنا بالله، لكنّه أيضًا أساس علاقتنا ببعضنا البعض (Mwombeki 392 ,1999).

من جهة أخرى، فإنّ تعبير "أنا الربّ" بصيغه المختلفة (آ ٢، ٣، ٤، ١٠، ١٢، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧) يقوم، بالإضافة إلى تقديم الدافع الرئيسيّ للوصايا المعلنة في هذا الإصحاح، بتحديد التقسيمات الأساسيّة للإصحاح إلى أجزائه الرئيسيّة من خلال الفصل بين مجموعات الفرائض والوصايا المختلفة التي يتألّف منها لا ١٩. وبالتالي، يعني ذلك أنّ كلّ جزء من الأجزاء الأربعة للآيات ١١–١٨، والتي يتألّف كلّ منها من آيتين تنتيهان بالإعلان "أنا الربّ"، إنّما يتضمّن وصايا مترابطة مع بعضها (Allbee 2006: 150).

انطلاقًا من ذلك، فإنّ الآيتين ١٧–١٨ تمثّلان وحدة مترابطة بحدّ ذاتها، يمكن تقسيمها إلى البنية الهيكليّة الأدبيّة التالية (Allbee 2006: 161-162):

A. لا تبغض أخاك (عب: **أخيك**) في قلبك (آ ١٧أ)

B. بل عاتب صاحبك (عب: **عميتك**) عتابًا، لئلاّ ترتكب خطيئة بغضك له (آ ١٧ب)

A'. لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك (عب: **بني عمك**) (آ ١٨أ)

B'. بل أحبّ قريبك (عب: **رعك**) كما تحبّ نفسك (آ ١٨ب)

وبالتالي، فمن خلال المداورة بين جملتَي أمر سلبيّتين ("لا تبغض"، آ ١٧أ، و"لا تنتقم ولا تحقد" (آ ١٨أ)، وأخريَين إيجابيّتين ("عاتب"، آ ١٧ب؛ "أحبّ"، آ ١٨ب)، تعلن هذه الوحدة للمؤمن أنّ عليه أن يقوم بإصلاح خطأ صاحبه ومعاتبته عليه في إطار المحبّة عوضًا عن الحقد عليه أو الانتقام منه أو حتّى بغضه في قلبه.

وبذلك المعنى، لا تكتفي لا ١٩: ١٧–١٨ بالنهي عن المظاهر الخارجيّة للبغض، وهي الحقد والانتقام، لكنّها تنهي وتحذّر حتّى من البغض في القلب، الأمر الذي يؤكّد عليه يسوع في الموعظة على الجبل (مت ٥)، لا بل وأكثر من ذلك، تعلن لا ١٩: ١٧–١٨، التي تبدأ بالنهي عن الحقد وتنهي بالدعوة الصريحة إلى المحبّة، أنّ الشخص ليس مدعوًا فقط لتجنّب الحقد والانتقام، ولكن أيضًا للمحبّة، فلا يكفي تجنّب الموقف السلبيّ، ولكن لا بدّ من موقف إيجابيّ، من محبّة إيجابيّة فاعلة (Hartley 1992, 318).

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ آ ١١–١٨ تستخدم تعابير مختلفة للقريب: آ ١١–١٢: "عَميتْ" (صاحب)؛ آ ١٣–١٤: "رَعْ"، "قريب"؛ آ ١٥–١٦: "عَميتْ" (صاحب)، "عَمْ" (شعب)، "رَعْ" (قريب)؛ آ ١٧–١٨: "أخ" (أخ)، "عَميتْ" (صاحب)، "عَمْ" (شعب)، "رع" (قريب). وبالتالي، فلاويّون ١٩: ١٧–١٨ تمثّل القمّة الأدبيّة واللاهوتيّة للوحدة التي تتألّف من آ ١١–١٨ ككلّ، أي أنّ محبّة القريب تجمع قمّة جميع الوصايا الموجودة في آ ١١–١٨ وتلخّصها وتمثّلها، وتعني عمليًّا، تجنّب القيام بأيّ أمر من الأفعال التي تنهي عنها تلك الآيات. وعليه فمحبّة القريب كالنفس تلخّص الوصايا التي يتضمّنها هذا المقطع، وتمثّل المفهوم الذي يوحّدها ويشكّل الأساس بالنسبة إليها (Allbee 2006: 163-165). ليست محبّة القريب فقط أساس عدم بغضه والحقد عليه

والانتقام منه، لكنّها أيضًا أساس عدم السرقة، والكذب، والغدر، والقسم الكاذب، والظلم، والسلب، وعدم استغلال الأجير وضعفات المعوقين، والجور في الحكم، وعدم المحاباة، ونشر النميمة وشهادة الزور.

من هو القريب؟

عند هذه النقطة، لا بدّ لنا من أن نتحّول لكي نتعامل مع السؤال البديهيّ الأوّل الذي تطرحه وصيّة محبّة القريب كالنفس في لا ١٩: ١٨، وهو السؤال حول من هو القريب؟ والذي يمثّل عادة نقطة النقد والانتقاد الرئيسيّة التي يتبنّاها المسيحيّون عندما يدركون بأنّ وصيّة محبّة القريب كالنفس ترد في العهد القديم، حيث يعتبرون بأنّ القريب هنا إنّما هو الإسرائيليّ الآخر، ويعتبرون بالتالي أنّ ذلك علامة ضيق أفق الوصيّة في العهد القديم قبل أن يقوم يسوع ورغم اقتباسه للوصيّة من العهد القديم بإحداث تغيير جذريّ فيها وفي معناها، بنقلها إلى أبعادها العالميّة التي يكسر من خلالها حدود العرق والشعب والدين.

وللإجابة على هذا السؤال دعوني أبدأ بأن أؤكّد صحّة الجزء الأوّل من النظريّة والقائل بأنّ القريب في لا ١٩: ١٨ هو فعلاً الإسرائيليّ الآخَر. ولكن دعوني أيضًا أعلن ومن البداية أنّ الجزء الثاني من تلك النظريّة أي اتخاذ ذلك كدليل على ضيق أفق وانغلاق وعنصريّة الوصيّة في لا ١٩: ١٨ إنّما هو نتيجة خاطئة.

فإذا ما كانت المسيحيّة كما اليهوديّة الفرّيسيّة اللاحقة تؤكّد بأنّ القريب هو كلّ الإنسانيّة، كما هو الحال مثلاً مع رابّي عقيبا يعتبر وصيّة محبّة القريب كالنفس (لا ١٩: ١٨) على أنّها الوصيّة الأساس في الشريعة بكاملها، مع اعتبار أنّ القريب هنا إنّما يشير إلى الإنسانيّة بأسرها (Kaminsky 2008, 132)، فإنّ الإشارة إلى محبّة "الغريب النزيل" في لا ١٩: ٣٣–٣٤ تشير إلى أنّ لا ١٩:

١٨ تشير تحديدًا إلى العلاقات بين أبناء شعب إسرائيل دون سواه. ومّما يدعم هذا الافتراض أنّ التعابير الأخرى المستخدمة للآخَر في لا ١٩: ١٧–١٨ (أخ، صاحب، شعب) إنّما هي جميعها تعابير ترتبط بأفراد ينتمون إلى إسرائيل، الأمر الذي يؤكّد أنّ التعبير الرابع المستخدم للآخَر هناك، أي قريب، هو أيضًا للإشارة إلى الإسرائيليّ الآخر (Kaminsky 2008, 123).

لكن، لفهم الإطار الحقيقيّ لوصية محبّة القريب في لا ١٩: ١٨، علينا أن نلقي نظرة على الغريب النزيل في آ ٣٣–٣٤، والذي يشير هنا إلى الغريب الذي يسكن في وسط جماعة إسرائيل. وهذه المجموعة من الغرباء هي مجموعة خاصّة تعتبر التوراة بشكل عامّ وشرعة القداسة التي ينتمي إليها لا ١٩ (لا ١٧–٢٦) بشكل خاصّ أنّ عليها أيضًا أن تخضع لمجموعة من الواجبات التي تفرضها عليها إقامتها في وسط شعب إسرائيل، كالامتناع، مثلاً، عن أكل الحيوانات (لا ١٧: ١٥)، وبالتالي فهي تخضع لبعض الواجبات التي يخضع لها شعب إسرائيل. كما أنّها في الوقت نفسه تتمتّع ببعض الامتيازات التي يتمتّع بها شعب إسرائيل، ومن بينها، مثلاً، بحسب خر ١٢: ٤٨–٤٩، أنّه يمكن للغريب النزيل في أرض إسرائيل أن يحتفل بالفصح مع شعب إسرائيل إنْ هو اختار أن يختتن. وإن كان كلّ ذلك لا يلغي أنّ بعض القواعد الأخرى التي تبقي على الغرباء النزلاء، من جهة أخرى، مفصولين عن، وفي درجة أدنى من شعب إسرائيل، كلاويّين ٢٥: ٤٥–٤٦ التي تسمح بشراء أولاد الغرباء النزلاء كعبيد، الأمر الذي لم يكن ممكنًا مع العبرانيّين (Kaminsky 2008, 123-124). ولكن علينا أن نكون حذرين قبل أن نحكم على ذلك أو ندينه، لأنّه حتّى في أيّامنا هذا يخضع الغرباء المقيمين في ثقافة جديدة لبعض القواعد الخاصّة التي تميّزهم عن أولاد المنطقة الأصليّين.

ومن بين الامتيازات الأخرى التي يتمتّع بها الغرباء النزلاء في أرض إسرائيل هي المحبّة كالنفس تمامًا كابن شعب إسرائيل كما تعلن صراحة الوصيّة

الموجودة في لا ١٩: ٣٣–٣٤، وبالتحديد في الخطاب نفسه الذي يتضمّن الدعوة لمحبّة القريب كالنفس. ومن الهامّ أن ندرك هنا أنّ الدعوة لمحبّة الغريب النزيل في لا ١٩: ٣٤ تتضمّن مرتكزًا لاهوتيًّا إضافيًّا للدعوة المشابهة لمحبّة القريب كالنفس، حيث ترتكز محبّة الغريب النزيل، بالإضافة إلى الإطار العامّ للخطاب والذي يتمحور حول العهد مع الله وقداسة الله وعمله الخلاصيّ في حياة شعبه (آ ٢، ٣٦)، على دعوة إسرائيل لتذكر أنّها كانت هي نفسها غريبة ومتغرّبة قبل أن تختبر الخروج (آ ٣٤).

وبالتالي فالقريب الذي توصي لا ١٩ بمحبّته كالنفس إنّما هو العبرانيّ الآخر والغريب النزيل الملتزم دون سواهما، لكنّ ذلك يعني كلّ من يتعامل معه الإسرائيليّ العاديّ. حيث أنّنا يجب ألاّ ننسى أنّ العالم بالنسبة إلى العبرانيّ العاديّ في إسرائيل القديمة لم يكن يتجاوز محيطه المحلّيّ، ولم يكن التعامل مع غرباء أمرًا شائع الحدوث بالنسبة إلى الكثيرين باستثناء الغرباء الذين يقيمون في ذلك المحيط المحليّ. وبالتالي، فالتركيز على تلك الجماعة المحيطة لا يجب أن يرى كأمر ضيّق، لأنّه يشمل كلّ المحيط (Kaminsky 2008, 130). فمن خلال الإشارة إلى القريب والغريب النزيل، فإنّ لا ١٩ تدعو سامعها لكي يحبّ كلّ من يتعامل معهم كنفسه، محبّة حقيقيّة وفاعلة.

معنى محبّة القريب

إنّ ما سبق وقلناه أعلاه عن الإطار الذي تأتي فيه وصية محبّة القريب كالنفس في لا ١٩ يظهر أمورًا هامّة عن مفهوم تلك الوصية. فمحبّة القريب، كما الغريب النزيل، في لا ١٩ ليست مجرّد عاطفة، لكنّها وصيّة وواجب وفريضة. محبّة القريب والغريب النزيل هي محبّة تنبع من علاقة العهد التي تجمع إسرائيل بإلهها، وهي محبّة فاعلة تترجم ذاتها بشكل عمليّ.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الخليط المميّز للفرائض المتعلّقة بالعبادة وتلك المتعلّقة بالعلاقات في المجتمع في لا ١٩ يظهر أنّ العبادة ونمط الحياة هما أمران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما، كما يؤكّد يسوع نفسه لاحقًا في مت

٥: ٢١–٢٤.

وذلك الارتباط بين العبادة والحياة، بين العلاقة بالله والعلاقة بالإنسان الآخَر، هو أمر يؤكّد عليه اللاهوت الكهنوتيّ، التوراة، والكتاب المقدّس بشكل عامّ، والذي يقدّم الحياة على أنّها لقاء مستمرّ بين الله وشعبه. وبالتالي فأيّ شخص يخطئ بحقّ الله يؤذي علاقته بغيره ويهدّد الجماعة، وأيّ شخص يخطئ بحقّ أخ أو أخت له في الجماعة إنّما يؤذي ويهدّد علاقته بالله؛ فعلاقتنا بالله وعلاقتنا بغيرنا تترابطان وتؤثّران ببعضهما البعض إلى أبعد الحدود (Kaminsky 2008, 125-126).

وعليه فلاويّون ١٩ تعلن لنا أنّ محبّة القريب والغريب النزيل، أي محبّة كلّ ومن نتعامل معه، هي وصيّة تنبع من علاقة العهد التي تربط المؤمن بإلهه واختبار عمل الله الخلاصيّ في حياته. لا ١٩ تعلن لنا أنّ محبّة الإنسان الآخر هي أمر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلاقتنا بإلهنا الذي لا يمكن فصل علاقتنا به بعلاقتنا بأخينا الإنسان. ولا ١٩ تعلن لنا أنّ المحبّة التي نحن مدعوّون لنعيشها هي ليست مجرّد عاطفة، لكنّها محبّة فاعلة تترجم نفسها بشكل عمليّ ملتزم وتلخّص في نفسها التطبيق العمليّ للشريعة.

لا ١٩ ورسالة يعقوب

لعله يكون من الهامّ بالنسبة إلينا هنا أن ندرك وجود تأثير واضح ولكن غالبًا مهمل للاويّين ١٩ على رسالة يعقوب ولاهوتها ومفهومها عن الإيمان الفاعل.

فبالإضافة إلى الاقتباس المباشر للاويّين ١٩: ١٨ب في يع ٢: ٨، تتضمّن رسالة يعقوب أربعة إشارات مؤكّدة، وإشارتين إضافيّتين محتملتَين للاويّين ١٩: ١١–١٨، كما هو مبيّن في الجدول التالي والذي يتبع في ترتيبه ترتيب الآيات في لا ١٩: ١١–١٨، مع استخدام النجمة للإشارة إلى الحالتين غير المؤكّدتين:

لا ١٩: ١١-١٨	يعقوب
١٢	٥: ١٢
١٣	٥: ٤
١٥	٢: ١، ٩
١٦	٤: ١١
١٧	٥: ٢٠*
١٨أ	٥: ٩*
١٨ب	٢: ٨

رسالة يعقوب ولاويّون ١٩: ١١-١٨

وبالتالي، فالآيتان الوحيدتان في لا ١٩: ١١-١٨ اللتان لا يوجد أيّة إشارة إليهما في يعقوب هما لا ١٩: ١١ و١٤، الأمر الذي يظهر وبوضوح قيام كاتب رسالة يعقوب باستخدام لا ١٩: ١١-١٨ كأحد المصادر الرئيسيّة في بناء رسالته ولاهوته (Johnson 1982, 399). وعليه فكاتب رسالة يعقوب رأى أنّ الإيمان الفاعل الذي يجب أن يعيش على أساسه المؤمنون والذي يترجم نفسه بأعمال تشهد عنه هو الإيمان الذي يتمحور حول محبّة القريب كالنفس كما هي معلنة في لا ١٩، محبّة فاعلة وملتزمة ترتبط بعلاقة المؤمن بإلهه، تلخّص معنى الشريعة، وتترجم نفسها بشكل عمليّ.

محبّة القريب... طريق القداسة...

في لا ١٩، نجد دعوة صريحة من الله القدّوس لنا كشعبه إلى القداسة. لكنّ القداسة التي يدعونا إليها لا ١٩ ليست مجرّد قداسة روحيّة أو تعبّديّة، لكنّها قداسة عمليّة حياتيّة ترتبط وتظهر في طريقة الحياة التي نعيشها مع الآخرين؛ هي قداسة تظهر في المحبّة الفاعلة التي تتجسّد في الحياة اليوميّة وفي علاقاتنا مع كلّ من وما يحيط بنا.

وذلك الارتباط بين القداسة والمحبّة هو ارتباط هامّ في الكتاب المقدّس

بكامله، حيث القداسة والمحبّة ترتبطان وتؤثّران على بعضهما البعض؛ فالقداسة تعبّر عن نفسها بالمحبّة. والمحبّة تجد صورتها الأنقى من خلال القداسة؛ فالمحبّة الحقيقيّة تصنع عدالة، والعدالة هي الأساس الثابت للمحبّة المقدّسة؛ ذلك الارتباط بين المحبّة والعدالة والقداسة يحفظ المحبّة من أن تتحوّل إلى مجرّد شعور، والعدالة من أن تكون قاسية ومدمّرة، والقداسة من أن تكون شيئًا فرديًّا سلبيًّا.

ولعلّ أحد أوضح الأمثلة على ذلك الارتباط بين القداسة والمحبّة هو في دعوة يسوع لمن يقدّم ذبيحة أن يترك تقدمته على المذبح إلى أن يذهب ويصطلح مع من له عليه شيء (مت ٥: ٢١–٢٤). كما أنّ ذلك الارتباط بين القداسة والمحبّة يظهر جليًّا في رسالة بطرس الأولى ١: ١٥–١٦، والتي هي أيضًا بدورها تتخذ من لا ١٩، وبالتحديد من إطار ربط القداسة بالمحبّة في لا ١٩ (آ ٢ب)، أساسًا للاهوتها (Hartley 1992, 323-325).

الدعوة لمحبّة كلّ آخر نتعامل معه في لا ١٩ هي دعوة للمحبّة الفاعلة التي تمثّل وحدها طريقنا لنكون قدّيسين على صورة إلهنا القدّوس الذي يجمعنا به عهد نعمة ومحبّة ينبع من شخصه هو.

خاتمة

يتضمّن الخطاب الموجود في لا ١٩ إحدى الوصيّتين اللتين يعتبر يسوع أنّهما الوصيّة الأعظم في الشريعة واللتين تتعلّق بهما الشريعة وتعاليم الأنبياء، وهي وصيّة محبّة القريب كالنفس، وبالتالي يمثّل لا ١٩ أحد النصّين اللذين يضعهما يسوع في مركز الشريعة والأنبياء، ويعتبر أنّهما يلخّصان الشريعة والأنبياء، أي الكتاب المقدّس في زمنه.

وتؤسّس لا ١٩ وصيّة محبّة القريب على طبيعة الله وعلى علاقة العهد التي تجمع الله بشعبه، وعلى عمل الله الخلاصيّ في حياة شعبه، وانطلاقًا من ذلك

تدعو المؤمن لكي يحبّ القريب والغريب النزيل، أي كلّ من يلتقي به ويتعامل معه، محبّة حقيقيّة فاعلة. وتأتي وصيّة محبّة الآخر في لا ١٩ كملخّص وكقمّة لجميع الوصايا والفرائض التي يتضمّنها الخطاب، والتي هي بدورها تمثّل تطبيقًا عمليًّا للوصايا العشر وللشريعة بشكل عامّ، وبالتالي تمثّل محبّة الآخر كالنفس في لا ١٩ أساسًا لتحقيق كلّ وصيّة أخرى، وبشكل ترتبط به محبّة الآخر بمحبّة الله وعبادته بطريقة لا يمكن الفصل بينهما.

انطلاقًا من ذلك، نستطيع أن نقول بأنّ نفس وصيّة "محبّة القريب" التي يعتبر يسوع، والتي يفترض بولس (رو ١٣: ٨–١٠)، أنّها الأساس الذي يوحد الناموس والأنبياء والمقتبسة من العهد القديم، وبالتحديد لا ١٩: ١١–١٨، هي وصيّة تحمل معنى متكامل في كلا العهدين؛ فما يبدو على أنّه فارق بين العهدين في إعطاء الأولويّة للشريعة أمّ للمحبّة هو وجهان متكاملان لعملة واحدة؛ فحيث يعطي العهد الجديد الأولويّة للمحبّة (رو ١٣: ٨؛ غل ٥: ١٣)، يضع العهد القديم محبّة القريب في إطار شرائعيّ قانونيّ بشكل يعطي الأولويّة للشريعة، ويعتبر المحبّة بحدّ ذاتها جزءًا من الشريعة. وبالتالي، فالعهد القديم يضع محبّة القريب في إطار حياة الجماعة والعلاقات الاجتماعيّة التي تنظّمها الشريعة، في حين يضع العهد الجديد تلك الوصيّة في إطار العلاقات الشخصيّة ("لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاّ بأن يحبّ بعضكم بعضًا، لأنّ من أحبّ غيره فقد أكمل الناموس" (رو ١٣: ٨). وبالتالي فأيّ فهم متكامل للمعنى الحقيقيّ لوصيّة محبّة القريب يجب أن يأخذ كلا الجانبين الموجودين في كلا العهدين بعين الاعتبار وبشكل يكمل به أحدهما الآخر (ALLBEE 2006: 147-148).

في النهاية، تعتبر لا ١٩ أنّ محبّة الآخر محبّة فاعلة وحقيقيّة تترجم نفسها بشكل عمليّ، وتمثّل بالنسبة إلى يعقوب أساس الإيمان الفاعل، هي وحدها طريق القداسة الحقيقيّة التي ترتكز على محبّة تضحّي لمنح حياة أفضل لآخرين. إدراك ذلك هو أمر بالغ الأهمّيّة بالنسبة إلينا كمسيحيّين مدعوّين لكي نكون

أمينين لإلهنا، ونتبع مثال إلهنا المتجسّد الذي أظهر لنا أنّ المحبّة الحقيقيّة هي المحبّة الفاعلة التي تبذل حتّى ذاتها، وبذلك وحده تقود إلى القيامة التي تعلن نصرة الحياة على شرّ وألم وموت.

المراجع

ALLBEE Richard A., "Asymmetrical Continuity of Love and Law between the Old and New Testaments: Explicating the Implicit Side of a Hermeneutical Bridge, Leviticus 19.11-18" *JSOT* 31/2 (2006) 147-166.

CARMICHAEL CALUM M., "Laws of Leviticus 19", *Harvard Theological Review* 87/3 (1994) 239-256.

HARTLEY John E., *Leviticus*, Word Biblical Commentary, vol. 4, Dallas, Texas: Word Books, Publisher, 1992.

JOHNSON Luke T., "The Use of Leviticus 19 in the Letter of James", *Journal of Biblical Literature* 101/3 (1982) 391-401.

KAMINSKY Joel S., "Loving One's (Israelite) Neighbor: Election and Commandment in Leviticus 19", *Interpretation* 62/2 (2008) 123-132.

MILGROMM Jacob, "Law and Narrative and the Exegesis of Leviticus XIX.19", *Vetus Testemantum* 46/4 (1996) 544-548.

MWOMBEKI Fidon R., "Between Text and Sermon, Leviticus 19.1-37", *Interpretation* 53/4 (1999) 391-394.

STERN Jay B., "'Jesus' Citation of Dt 6.5 and Lev 19.18 in the Light of Jewish Tradition", *The Catholic Biblical Quarterly* 28 (1966) 312-316.